شخصية المثقف في رواية القرية المصرية المعاصرة

حنان حامد محمد محمد

باحثة دكتوراة ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة قناة السويس ـ قسم اللغة العربية وآدابها

ملخص:

تبحث هذه الدراسة في شخصية(المثقف نموذجًا) في الخطاب الروائي المعاصر, والكشف عن دوره في التحولات المجتمعية لكونه المشارك الأكبر في صنعها في مجتمعه, وتوضح كيف تناوله الروائيون المعاصرون في خدمة أعمالهم الروائية, وما الدور الذي قدمه هذا النموذج في تقديم رؤية الأديب من خلال موضوعه المطروح, فطبقة المثقفين في واقعنا المعيش هي المادة الخام التي يبث من خلالها الروائيون أيديولوجياتهم وأفكارهم الواعية ليستنير منها القارئ ويتكون لديه وعي بحقوقه وواجباته, ليس فقط في الوقت الذي يعاصره, بل من قبل حاضره يمكنه أن يستفيد من المواقف البطولية التي حققها هؤلاء المثقفون في نضالهم ضد الظلم والحفاظ على حريتهم وحقوق ذويهم من الضعفاء الذين أمنوهم على حاضرهم.

فالمثقف قد يتغير دوره العطائي في النضال المجتمعي تبعًا للتغيرات الحاصلة عبر مسيرة الزمن الإنساني من النواحي الثقافية والاجتماعية والأدبية والفنية، في رصدها إبراز لمتغيرات دلالية محملة بثقل معرفي وتاريخي وأيديولوجي، قد تشترك الجماعة في تعاطيه بحكم انتمائها إلى فترة زمنية ما.

ومن خلال الأنماط المتعددة لهذا النموذج في رواية القرية المصرية يمكن للقاريء الوقوف على عيوب المثقف السلبي ويتحاشاها، ويفيد من دور المثقف الإيجابي ومميزاته، ويفكر في الأسباب والظروف التي أنتجت شخصية المثقف القلقة، الذي يتأرجح بدوره بين الإيجابية والسلبية، ويقرر أي الطرق يختارها.

وقد اعتمدت على منهج النقد الثقافي في تحليل "عينة من الروايات المصرية"[١] التي أسست موضوعها حول القرية المصرية في الألفية الثالثة.

كلمات مفتاحية: الشخصية الروائية المثقف الإيجابي ـ المثقف السلبي ـ المثقف المتحوّل

Abstract:

This study examines the personality of (the intellectual as a model) in the contemporary novelist discourse, and reveals his role in societal transformations, as he is the largest participant in making them in his society. Through the topic presented, the class of intellectuals in our living reality is the raw material through which novelists broadcast their ideologies and conscious ideas so that the reader can enlighten and have awareness of his rights and duties, not only at the time he is contemporary with, but by his present. He can benefit from the heroic positions that these people have achieved.

Intellectuals in their struggle against injustice and to preserve their freedom and the rights of their families from the weak who have secured them for their present.

The intellectual may change his giving role in the societal struggle according to the changes taking place throughout the

course of human time in terms of cultural, social, literary and artistic aspects.

Through the multiple patterns of this model in the Egyptian village novel, the reader can identify the defects of the negative intellectual and avoid them, and benefit from the positive role of the intellectual and its advantages, and think about the reasons and circumstances that produced the personality of the anxious intellectual, who in turn swings between positive and negative, and decides which path to choose.

It relied on the method of cultural criticism in analyzing "a sample of Egyptian novels" that established its theme on the Egyptian village in the third millennium.

Keywords: Narrator - Positive educated – Negative educated - Transformed educated

المثقف في رواية القرية المصرية نموذجًا

إن الشخصيات الروائية هي الركائز الأساسية التي يعتمد عليها الروائي في استجلاء القوى التي تبعث الحركة في الواقع من حولنا, وبعد دراسة مجموعة من الروايات المصرية التي تناولت صورة القرية شخوصًا وأحداثًا ورؤى, وجدت أنها تقدم شخوصًا يشبهون الواقع المعيش في ظروف اجتماعية مختلفة ويسهل التعرف عليها, وكانت العينات محل الدراسة بنسبة كبيرة محاولات من روائييّها لإعادة تشكيل ملامح عالم يماثل العالم الذي نعيش فيه, صفاتٍ وأفكارًا واتجاهاتٍ أيضًا,

وتقديمها بما يتشابه مع شخصيات البشر في الحياة المصرية, لتتخذ الروايات دروبًا من الواقعية تطرح من خلالها الرؤى ووجهات النظر التي يرى بها الأديب هذا العالم, مشخّصا للمتلقي ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية الصعبة مركزًا بعدسته على الطبقات المتوسطة الطامحة إلى تحسين تلك الأوضاع .

ومما يجب التأكيد عليه أن **الشخصية**[٢] لم تعد أفكاراً مجردةً تهتم بلعب أدوار وحسب، بعدما أضحت الشخصيات في أي نص روائي أو قصصي صانعة للمعنى الكلي للنص، وذلك بما يتهيأ لها من وظائف في سياق النص السردي بكليته.

فالشخصية كائن خيالي, تبنى من خلال جمل تتلفظ بها هي, أو يتلفظ بها غيرها"[٣], ومن هنا كان اهتمام النقد الحديث بهذه الوظائف، والابتعاد إلى حد كبير عن تحليل الشخصية من خلال صفاتها ومظهرها الخارجي, وعلى كل يقول عبد الملك مرتاض: **"إن المصطلح الذي نستعمله نحن مقابلا للمصطلح (personage)هو "شخصية", وذلك على أساس أن المنطق الدلالي للغة العربية الشائعة بين الناس يقتضي أن يكون " الشخص" هو الفرد المسجل في البلدية, والذي له حالة مدنية, والذي يولد فعلا, ويموت حقا, بينما إطلاق الشخصية لا يخلو من عمومية المعنى, في اللغة العربية زئبقي الدلالة, فارتأينا تمحيضه لدى الحديث عن السرديات)**[٤].

ولقد تناول البحث من بين الشخصيات الروائية (المثقف نموذجًا)، ليقف على ثلاثة أنماط أولها: شخصية المثقف الإيجابي، وثانيها شخصية المثقف السلبي، وأخيرا شخصية المثقف القلقة ما بين السلبية والإيجابية والسكون، وكل ذلك فيمن ينتمون للمجتمع القروي المصري فيما سواه.

نموذج (شخصية المثقف[٥]):

حينما تحدث الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر في كتابه" الأدب الملتزم" , حول المثقف وعلاقته بمجتمعه فقد عرض لوجهة نظر تشير بأن" المثقف الذي لا يشتبك مع عصره ومشكلاته يفوّت على نفسه فرصة تاريخية إلى الأبد", والذي خصّصه لنقد خيار وسلوك المثقفين الذين أداروا ظهورهم للتاريخ, ولم يشتبكوا مع مشكلات الواقع والعصر الذي يعيشون فيه, ولا مجال هنا لسرد جميع الدراسات حول شخصية المثقف في الرواية المصرية أو الدراسات التي تتصل بهذا الموضوع من زاوية بعيدة أو قريبة, فقط حسبي أن أطرق تحليلا للشخصية المثقفة بصفة عامة في الرواية المصرية التي تتناول القرية بصفة خاصة في الإنتاج الروائي لكتابنا المعاصرين.

ولقد تناولت عينة الروايات محل الدراسة شخصية المثقف على النحو التالي:

١) أ) المثقف الإيجابي (أ)

ب) المثقف السلبي (ب)

ج) شخصية المثقف (القلقة) **وأعني بها المتحولة**

من (أ) إلى (ب) أو من (ب) إلى (أ)

شخصية المثقف الإيجابي (أ)	**شخصية المثقف المتحولة(القلقة) (ج) من (أ) إلى (ب) ومن(ب) إلى (أ)**	**شخصية المثقف السلبية (ب)**	**اسم الرواية**
أحمد عبد الله عاصم خال حسناء	فتحي كسّاب (حسن بانجو) إخوة الحاج بدراوي المستشار حمدين واللواء حسنين	(شعبان دشيش) المحامي (العقيد فياض) (الصول رمضان)	القيراط الخامس والعشرون
الطبيب (بدون اسم) أ عمرو (مدرّس أول اللغة العربيّة)		المأمور القاضي	طبيب أرياف
(يوسف أفندي)	(عويضة أبو شلتوت)	تيسير باشا	عزبة الباشا

(محمد أفندي)		(مالك العزبة)	
سعد هشام الطالب الجامعي جمال عبد الواحد			مراكب الليل
(وفيق بسيوني) (د. عادل أبو خطوة) (د. ممدوح) (الشاب عصام)			سجن الطاووس
(علي)	(الأستاذ عبد الحميد) مدرس الدراسات	عبد الناصر (طالب الطب) ضابط الشرطة شريف (ابن الحاج عادل الثّري) أمين الشرطة (سعيد)ابن عبد ربه الكلّاف) أستاذ أبو الخير (مدرس الحساب)	القريـــــــة

١) أ) شخصية المثقف الإيجابي:

الثقافة من المفاهيم الواسعة والتي لم تحدد بتعريف ثابت بل ظهر لها عدة تعاريف اختلفت الآراء حولها، حتى أصبحت الثقافة ليست بكثرة الاطلاع على الكتب وحسب، كذلك لا تعني بالضرورة أن يكون الشخص حاملا لشهادة جامعية أو أي شهادة أخرى، فما كل ذاك إلا عوامل مساعدة لتنشئة الشخصية المثقفة بالمجتمع، هذا ولا شك من حتمية الاطلاع وضروريته لرفد جوانب المعرفة والإلمام أكثر بمجالات الحياة الأخرى.

ولازالت المعايير التي تحدد كون الشخص هذا مثقفا أم لا، ليست محددة بشروط، كذلك تكمن أهمية الشهادات كعنصر يضاف لشخصية المثقف، لكن تبقى الثقافة شيئا موجودًا في أعماق الإنسان يمكن صقلها بالاطلاع والدراسة، لذلك قد تجد شخصًا لم يكمل المرحلة الابتدائية، لكن لديه ثقافة من نوع آخر ألا وهي ثقافة الاحترام، ثقافة الكلام المعطر بنسيم الأدب.

وعليه فلقد تعددت العوامل والمؤثرات التي كونت شخصية الإنسان المثقف عامة والمثقف القروي على وجه الخصوص في الرواية المصرية الحديثة, فشخصية المثقف من حيث كونه إنسانًا ينتمي لأصول معرفية وعلمية وله مواقف حضارية جادة تجاه مجتمعه, يكون (شديد التأثر) ببيئته المنتمي إليها(وشديد التأثير) في وسطه الاجتماعي ومحيط عالمه ويشير عبد السلام الشاذلي في كتابه(المثقف في الرواية) موضحًا" **لما له من قوى فكرية خاصة ومواهب روحية ونفسية متميزة, ولكن تأثر المثقف ببيئته الاجتماعية_ كما يبدو من خلال الرواية المصرية_ وتأثيره فيها كذلك يتراءى بصورة غاية في الغموض واللبس, حيث تبدو تلك الشخصية خلال النظرة السطحية العابرة وكأنها شخصية زئبقية وكأن ثمة عوامل خفية قد عملت على تآكل ملامح الإنسان المثقف في الرواية الحديثة بمصر, بحيث يبدو أمر التفاعل بين تأثر المثقف بالبيئة الاجتماعية وتأثيره فيها أمرا يتجاوز نطاق نزاع (الذات) الواعية والحساسة مع الموضوع والأشياء**"[٦].

من هنا استاق الروائيون شخصية المثقف في القرية من المجتمع المحيط بهم, وبهذا وجبت الإشارة أنه عندما اعتلى مذهب الواقعيين والطبيعيين" **أهملت فكرة البطل الأوحد، في مقابل تصوير القاص لعدة أشخاص لا يخص أحداً بعنايته وإنما يسلط عليهم جميعا الضوء، على الرغم أنهم قد يتفاوتون فيكون هناك من بينهم شخصية رئيسية تفوق سواها في القص، ولكنهم يتقاربون جميعاً في هذه العناية، وتكون الغاية هي الكشف عن وعيهم مجموعة من الأشخاص يمثلون طبقة أو طبقات مختلفة في المجتمع، فمن خلال هذا الوعي تعرض الحقائق الاجتماعية في مواقف إنسانية تكشف استلاب المجتمعات الحديثة لطبقة ما، لذلك نجد أن صراع البطولة الجماعية في سبيل التغلب على هذا الاستلاب**"[٧], مثلما وجدنا في روايات عبد

الرحمن الشرقاوي, وكما سنجد هذا في رواية القيراط الخامس والعشرون, ورواية عزبة الباشا والقرية الآتي تناولهم.

١) (أ)

أولا: في رواية (القيراط الخامس والعشرون)[٨]

أ) شخصية(**أحمد عبد الله**) وهو المثقف الجامعي الواعي والسياسي المحنّك, والذي تربطه بمصر علاقة حميمة تجعله يستعذب لأجلها شتى اعتقالاته, فقد تهون روحه ولا يهون بلده, (وأحمد عبد الله) كان يعي انطلاقًا من تخصص دراسته كباحث دكتوراه, أن أحد السلاطين قد أصدر فرمانًا, قسمت مصر بموجبه إلى أربعة وعشرين قيراطا: أربعة للسلطان, وعشرة للأمراء والأعوان, وعشرة للجنود, وبهذا كان نصيب الشعب(القيراط الخامس والعشرون) وهو ما يؤكد أن شعب مصر ليس له أي نصيب في أرضها, وإنما نصيبه في مملكة السماء عند خالقه يوم تجتمع عند الله الخصوم, فأيقن البطل أن(لهم الدنيا وله ولأهل بلده الآخرة), مما جعله يقاوم حتى آخر رمق في روحه, ولم يتراجع رغم ما أصابه من عذابات في سجون أمن الدولة من رجالاتها, وما أصابه من اعتقال وتنكيل, كل هذا للحفاظ على حقه في أرض قريته وتاريخها, فقد دفع الفلاحون ثمن تلك الأفدنة من أقواتهم وعافيتهم, من وراء هذا نجد دور البطل يتخذ المنحى الإيجابي في الرواية والأكثر خيرية ومنفعة عن غيره من الشخصيات المثقفة الأخرى.

فشخصية (أحمد عبد الله) كما يصفها الشاذلي في كتابه " **موقفها موقف المثقف في الرواية من تراثه القومي لا يتضح إلا من خلال احتكاكه بالثقافة الأوربية الحديثة من ناحية, وبما يمثله هذا التراث القومي تجاه واقعه الحقيقي, أي تجاه الإنسان في واقعه الحي والمعاصر من ناحية أخرى, والإنسان العربي في واقعه هذا ينتمي في غالبيته إلى شعب معظمه من الفلاحين أو أشباه الفلاحين**"[٩], فالمثقف يتجلى بمواقفه تجاه شعبه عامة, والفلاحين خاصة, باعتبارهم الممثلين لغالبية هذا الشعب, وموقفه كذلك من قضية الديمقراطية بأبعادها الواقعية أو النظرية, فلا يمكنه بحال من الأحوال التخلي عن كل تلك الأعباء مهما كلّفه الأمر

ثانيا: في رواية (طبيب أرياف)[١٠]

أ) شخصية (الطبيب عليّ): بدءاً حول تلك الشخصية، التي هي الموضوع الرئيس وأولى العتبات التي خطى من خلالها الكاتب نحو عالم القرية، وقد تعمّد الكاتب أن يعلن من خلاله رؤاه وقد أشاد باسمه مرة واحدة على مدار الرواية كلها، فهو الشخصية الإيجابية وقتما يتحتم الأمر، والسلبية وقت انتصار الظروف حوله فيستسلم ويسلّم لها رايته، وهو الشخصية القلقة ما بين الخيرية والإحسان إلى من حوله والإساءة في حق نفسه وأقرب الشخصيات إليه (فرح)، كما سيأتي تفصيلا.

ولنبدأ من حيث السارد لنجده يقترب بدرجة كبيرة من حياة توفيق الحكيم في(يوميات نائب في الأرياف) مع الفارق في مهنة كلا البطلين في الروايتين, فالبطل الأول عند (توفيق الحكيم) وكيل نيابة ساخر كُلِّف بالعمل في إحدى قرى مصر، يقضي أيامه في جرائم مثيرة للشفقة ارتكبها فلاحون محليّون، وينتقل بين عدد لا نهائي من الملفات القانونية, أما الأخير عند(قنديل), فهو طبيب جاء تكليفه في إحدى قرى الصعيد عقابًا له من أمن الدولة إثر اعتقاله ردحًا من الزمن لعلاقته الشائكة بالسياسة ومعارضة تيّار قانون الدولة, وما كان نفيه لتلك المنطقة إلا بديلا عن فصله التام من مزاولة مهنة الطب, والحق أن كليهما سواء فيما تكبداه في ذاك العالم من وحدة واغتراب اجتماعي في عالم الريف البائس وأهله, الذي لم يساعد كلا الشخصيتين كي يربطه بأي منهما بعلاقة صداقة أو قربى تهوّن عليهما فاجعة هذا العقاب والنفي, وبالتالي كانت المعاناة واحدة, تجاه القرويين وأهل الريف وطباعهم المستكينة الراضية إلى أبعد مدى بالهوان والفقر المدقع والجهل المستشري, الأشياء التي تمثل بدورها وحدة السلطة الرمزية البريئة على ملامح هذا العالم, ويجب الإشارة أن هذا البطل الطبيب كان هو الشخصية الأولى التي تمثل النموذج الإيجابي للشخصية في الرواية, فلقد تجلّى الدور التوعوي الإيجابي في تلك الرواية على يد(طبيب الوحدة الصحية بالقرية) فلم يكن أمامه إلا أن يقدم يد العون لكل من يأتي للوحدة سواء من المرضى ذوي الحالات الصحية الحرجة, أو البلطجي (**صقر**) الذي أتاه ليأخذ جرعة المخدر المعتادة عنوة, أو (**الجازية الغجرية**) التي أتته غارقة في دمائها وقد أسالتها الشرطة, وكادت تفارق الحياة لولا مساعدته لها بأقل الإمكانيات التي وفرتها له حكومة الصحة فحفظت له الجميل, أما عن دوره تجاه الطفلة الصغيرة المحمومة التي جاءت مع جدها (الحاج أيوب) المتبرّع بأرض الوحدة الصّحية:

" **تغمض الطفلة عينيها, تستسلم في صمت للحرارة التي تأكل جسمها, أظل بجانبها أغيّر الضمادات, وأضع الترمومتر تحت إبطها كل فترة, ينخفض مؤشر الزئبق, وتهدأ درجة الحرارة أخيرًا, بعد فترة تفتح عينيها الصغيرتين, وتطلب ماء, أكثر مما كنت أتمنى**)[١١], هكذا يتضح دور المثقف في تقديم يد العون لمن حوله وقتما يتطلب الأمر, ورغم ضعف الإمكانيات واختلاف البيئات الفكرية ما بينه وبين هؤلاء المرضى إلا أنه لم يتوان عن الدعم والمساعدة قدر الاستطاعة.

إن المثقف في المجتمع المصري أصبح واقعًا بين مطرقة وسندان مما أوقعه في أزمة بين مطلق الرغبات والطموحات البنّاءة على مائدة الانتظار وهيمنة المجتمع بعاداته وتقاليده, فهناك المثقف الذي ينشد الحريّة لكل فرد على وجه الأرض ما عداه, فلايمكنه تحقيقها لنفسه, وهناك يؤكد الكتاب على وقوع المثقفين بين إشكالية الواقعي والنظري, فشخصية البطل (الطبيب علي) في صورة البطل الإشكالي المأزوم الذي يتمنى الارتباط مراراً أحدها من غجرية, والأخرى من بائعة هوى والثالثة من أخرى متزوجة بالفعل, فأزمة المثقف تتأرجح بين الوعي واللامنطق, مما يظهر عدم الرضا من الراوي عن الفساد بالبلد أشبه بالبطل الإشكالي, أو المأزوم الذي يعجز عن تغيير الواقع.

ثانيا: الشيخ عبد البرّ شيخ الجامع:

وقد اتضح موقفه الواعي الإيجابي أثناء هياج أهل البلدة على(أبانوب الترزي المسيحي), والذي تم ضبطه في فراش جليلة المرأة الأرملة المسلمة, وأثناء عقاب أهل البلدة له بربطه على ظهر حمار بالمقلوب, ليتم التنكيل به في أرجاء القرية حتى الموت, اعترض الشيخ على قتله قائلا لهم:(**توقفوا إنه ذمّي.. من أهل الكتاب.. ولكن لا يأبه به أحد**) ويقع على الأرض من شدّة الإجهاد, وينقلونه إلى الوحدة للطبيب, وبعدما يلتقط أنفاسه, يحاور الطبيب: **هل رأيتَ ما حدث اليوم من أجل السيدة جليلة؟ أقول: أجل. يهزّ رأسه وهو يقول هامسًا: لقد دافعوا عن شرفها أكثر مما هي دافعت!**)[١٢], وبهذا القول تبرهن تلك الشخصية على وعيها المطلق وإيجابيتها تجاه مجتمعها القروي في حل االأزمات، فالثقافة هنا ليست حكرًا على المعلوماتية أو التثقيف النظري، وإنما تتجلى وقت تأزم الأحداث والحكمة في التصرف والإقناع والمقدرة على فض النزاع ورضاء الأطراف المتصارعة.

ثالثا: شخصية (أ عمرو) مدرس أول اللغة العربية:

وتلك الشخصية كانت تدرك خطورة العلاج الظاهري لديدان البلهارسيا عند الأطفال بمجرد أخذ جرعة أقراص تؤدي إلى الشفاء المؤقت لكنهم في الأساس لا يقضون على السبب الرئيسي من جذوره، وهو تنظيف مياه الترع التي تأوي قواقع البلهارسيا، يقول: (**المشكلة ليست في الدّواء، المشكلة هي نحن كمصريين، طوال تاريخنا ونحن نكرر الأخطاء نفسها دون هوادة، لا نستفيد من أي تجربة، لا ندير ظهورنا لتجارب الآخرين فقط، ولكن لتجاربنا نحن أيضا. هؤلاء الأطفال الذين أخذوا الدواء اليوم, ستقتل الدودة الغامضة الموجودة في داخلهم, سيشفون مؤقتا, ولكنهم سيهبطون للترعة مرة أخرى وستخترق جلودهم دودة جديدة, سينزفون من جديد, وتعاودهم كل الأعراض القاتلة**) ثم يستطرد في توضيح الطريقة الخاطئة التي يقومون بها بتنظيف الترع لأغراض في نفوسهم, يقول:(**إنه يبتعد تماما عن الأعشاب البرية التي تعلق بها القواقع, يرش كميّة ضئيلة منه على سطح الماء, وينتظر حتى يطفو السّمك ميتا أو مخدّرا, ويجمع هذا السمك ليبيعه في السّوق وبذلك تنتهي مهمّته, هكذا تتم مكافحة البلهارسيا, وربما هذا ما يحدث في كل التّرع**)[١٣],هكذا كان رد الأستاذ عمر الساخر على الطبيب ليوضح له مأساة الطرق العلاجية غير المجدية والتي لم تبدأ من أول الطريق بل من المنتصف, لذا لا أمل في العلاج إذا ما استمر بهذه الطريقة. وهذه الشخصية كشفت عن مدى وعيها بخطورة الأمراض وكيفية مواجهتها بالعلم والقضاء عليها.

ثالثا: في رواية عزبة الباشا[١٤]

أ) **يوسف أفندي ومحمد أفندي:**

هما صديقان مختلفان في فكرهما متجادلان دائما ومحتفظان بصداقتهما بعيدا عن أفكارهما رغم حدة خلافهما أحيانا, فمحمد ميوله أخوانية, و يوسف في وجهة نظره شيوعي الميول, هم في نظر عمدة القرية: (**عيال فاضية ما وراهمش شغلة ولا مشغلة إلا الكلام في السياسة والتقطيع في جتة أفندينا والحكومة ع الزراعية**)[١٥],كثيرا ما تمّ اعتقالهما من قبل الحكومة, ومن قبل الهجانة

أيضا:(**فانهالوا عليهن بالضرب والسبّ أمام زوجيهما العاجزين عن صدّهم, اقتادوهما إلى المخفر, وسط نظرات الحزن العاجزة من أهل القرية, المكتفين بمصمصة الشفاه, _ همّا خدوا محمد أفندي ويوسف أفندي ليه؟**

_ رد أبو شروخ: شكلهم بيلموا الأفنديّة اللي في البلد.

فقال عويضة أبو شلتوت بنبرة حزينة منكسرة غير معهودة منه: _ مصر ولعت!!

وقال تهامي البقال مستنكرا: يكونشي محمد أفندي ويوسف أفندي هما اللي ولّعوها؟"[١٦]), هكذا كان المثقفون بالقرية هم كبش فداء الحكومة، فلاتجد غيرهم لتزجهم بالسجن كل فترة لترهب وتلجم ألسنة أهل القرية عن المطالبة بحقوقهم.

أ)**يوسف أفندي:** اصطحبه خاله معه إلى البندر, وهناك دخل المدرسة, وانضم إلى إحدى الجماعات الشيوعية, وبعد أن نال شهادة المعلمين عاد إلى قريته حيث نضاله مع الفلاحين الكادحين في سبيل توعيتهم, يتبادل أهل القرية ورفقاء **يوسف** الأحاديث الوديّة, وتلك الشخصية كما أوردها الكاتب, كانت تمثل الأفندي المثقف الخلوق الذي تتمنى جميع بنات القرية الارتباط به, ويرجع السبب الأساسي في تغيير مصائر أهل القرية وحالها إلى وعي هؤلاء الشباب المثقف الذين كانوا على مدار الأحداث يقومون بدورهم التوعوي لمحو جهل القرية وأميتهم السياسية بل وجهلهم التام بحقوقهم وكيفية الحصول عليه, يقول يوسف أفندي لأهل قريته: (**يا جدعان لولاكم انتم مكنش فيه لا باشا ولا حتى غفير, انتم الأصل, انتم الأهم انتم الكادحون المنتجون, هم يربحون ويكنزون الذهب والفضة ويلعبون الميسر ويشربون الخمر باستعبادكم أنتم, فإذا انتفضتم ووقفتم وقفة رجل واحد وقتها فقط سوف تحدث المساواة وتلغى الألقاب التي يستعبدون بها البشر**)[١٧], وفي هذا ما يجعل دورهم الأقرب للتحريض منه إلى التوعية.

ب) أما عن دور محمد أفندي في توعيتهم الدينية وتعديل المسار الذي اتخذه الشيخ صديق إمام الجامع عندما كان يقول أهل القرية:(احنا في زمن مايعلم بيه إلا ربنا) فيوضح لهم قائلا :" **لا يجوز سب الزمن من الناحية الدينية, وما الفلاحون فيه ليس بسبب الزمن, ولكن بسببهم أنفسهم, لاستسلامهم للظلم والذل وكأنهم مدمنون له, ويوافقه يوسف أفندي في ذلك في أن الناس لا الزمن هم المسؤولون عما يحدث لهم, ولتراخيهم, يلقون التّهم على الزمن, فهم لايقوون على مواجهة الشعور بالضآلة بداخلهم, هؤلاء القوم ورثوا موروثًا كبيرا من القهر والاستعباد, منذ فلاحي الفراعنة إلى فلاحي فاروق, الظلم واحد والزمن مختلف)**[١٨]

في رواية مراكب الليل ل محمد العون.

أ) **شخصية سعد:** هو حفيد ل الحاج(عبد المعطي) الفلاح المثقف بالقرية من ابنه (فاروق), وسيأتي الدور للحديث عنه لاحقا, حصل على بكالريوس تجارة وسار في التعليم بتفوق دون أن يرسب سنة واحدة, ورث عن جدّه الذكاء وحدّة العقل, لذلك كان هو الأكثر قربا منه بين أحفاده الكثيرين, يقول الكاتب:(**أصبحت لدى سعد ميول يسارية جعلته ينفر من الوظيفة الحكومية المضمونة عبر القوى العاملة التي كانت تحول الشبان الحاصلين على مؤهلات دراسية إلى موظفين في وزارات وهيئات ومؤسسات الدولة المتعددة, لكنه لم يرض أن يلقى المصير التعس لموظفي الدولة فقد كان طموحًا ويريد أن يحقق لنفسه حياة ترضي هذا الطموح**"[١٩], وهذا مشهد يسرده الكاتب يجمع فيه حياة المثقف القروي وهو سعد حين(**يجتمع مع أصدقاء الطفولة وزملاء المدرسة, وجميعهم قد تعلموا إلى مراحل مختلفة كان يتناقش معهم في قضايا السياسة التي تشغل باله ويهتم بها منذ صباه, وينتقل بهم الحديث إلى أحوال البلد وأحيانا إلى التاريخ الذي قرأ فيه سعد عشرات الكتب, يأتي لزيارة مصر كل عدة سنوات, يقضي أسبوعي الإجازة في قريته, يجلس معهم يوميا في المساء أو العصاري ويمتد بينهم**

الكلام)[٢٠] وأبدى استغرابه لما وجده من زيادة العداء بين الحكومة والناس في هذا الزمن, وكان جوابهم أن الحكومة دائما ظالمة ولا تفكر في مصلحة الناس.

ب) **جمال عبد الواحد:** هو الابن الأصغر(للحاج عبد الواحد) فشل في الحصول على الثانوية العامة وكان في نظر والده في باديء الأمر أنه الابن الذي لا مستقبل له:**(دا لا فاس ولا قلم, لا فلاحة ولا شهادة, يعمل إيه ويروح فين في الزمن الصعب ده؟)**[٢١], لكنه أثبت لوالده العكس تماما حينما قرر النجاح في مجال آخر حينما سافر إلى الخارج وحقق ما لم ولن تحققه له الشهادات في مصر, وبالفعل أثبت للجميع أنه على قدر من المسئولية والإيجابية حينما قرر العمل بإحدى المطاعم وأثبت اجتهاده في ذلك العمل حتى أصبح المالك له وقام بتوظيف العديد من أبناء بلدته في ذلك المطعم, وساعد الكثيرين في مجالات عمل أخرى, وقرر الرجوع لبلدته للاستثمار فيها ومساعدة أفراد عائلته ورفع مستواهم المعيشي وذلك بعد وفاة والده الذي أبدًا لم يخبْ ظنه في هذا الابن البارّ الطموح, وبهذا تشكل هذه الشخصية ثقافة من نوع خاص في الدعم والعون تجاه الآخرين.

يقول الكاتب موضحًا رؤية المثقفين سعد وجمال في مستقبل وتاريخ بلدهما بعد اغتيال عبد الناصر(**تلقّى كل من سعد وجمال الخبر بمشاعر محايدة, فقط شعرا بالقلق خشية حدوث اضطرابات في بلدهما عقب الحادث, لكن الأخبار المطمئنة سرعان ماوصلت إليهما باستقرار الأوضاع, فعادا إلى الانشغال بعملهما, ولم يخطر على بال أحدهما أنهما مرّا بلحظة فارقة في تاريخ الوطن ستنقلب بعدها جميع الأحوال رأسا على عقب, وأن زمن الفقر قد جاء وبلدهما على وشك بدء أكثر عهودها ظلما وفسادا)**[٢٢], فحينما يكون الشاب على درجة من الوعي والثقافة لقراءة الحاضر, يكون لديه تنبؤاته الخاصة بمخاطر المستقبل والتي يخطط لتفاديها وحماية أهله وبلده من مساوئها.

ت) **هشام:** وهو الشاب المثقف القادم من قرية في قلب الدلتا والحاصل على بكالريوس علوم قسم جيولوجيا, متمرد الطباع, ويرفض الاستكانة," **قرر مع مجموعة من شباب القرية منهم (جلال الغرباوي) وفرج المنحوس كما أسموه, وآخرين أن يسافروا إلى إيطاليا بهجرة غير شرعية عبر البحار, وعن طريق سماسرة للسفر من البدو, ولكنه كان دائم الاعتراض على طريقتهم المهينة له ولزملائه في معاملتهم, فكان يرى أن المال الذي دفعه للمهربين وهذه الآلاف التي جمعها بشق الأنفس, لابد أن تكفل له حياة كريمة, فهو لا يسافر صدقة و لا إحسان من أحد**"[٢٣] , ويستمر في معارضته لأسلوبهم المهين حتى ينتهي به الحال بطلقة رصاص في جبهته على يد أحدهم حينما اعترض على سبابه لهم أثناء ركوبه الزورق الصغير الذي لا يحتمل سوى عشرة ركاب بينما يركبه خمسون فرد.

وبالنسبة لهشام فقد كان في نظر زملائه مصدر شغب دائم ومنتفخ ومتعال بما ليس له حق فيه، فجميعهم راضون بالاستكانة والهوان حتى يتحقق مطلبهم، أما هو فكان كمثقف ومتعلم لم يكن يتقبل على مستوى وعيه الذل والهوان فكان ذلك وبالا عليه وحسرة.

خامسا: في رواية سجن الطاووس لمحمد العون:

أ) **وفيق بسيوني:** هو فنان تشكيلي مثقف عالم في مجاله، يتفرد بموهبة الرسم دونا عن سواه، " خلال سنوات حياته سواء في معهد الفنون حيث يدرس الفن للطلاب، أو في عمله بالصحافة" **.... يدرك وفيق أن الإنسان يذهب في نهاية الأمر, لكن الإبداع الحقيقي يبقى, صارع طوال حياته ليصنع لنفسه مكانة في فن الرسم, وهو في مطلع الشباب كان الأمل يحدوه أن يصبح رسامًا عالميًا, تباع لوحاته في المعارض الكبرى سافر وعاش في أوربا وتعرّف على رساميها وفنانيها وصادق الكثيرين منهم, ...قبل أن يبلغ الثلاثين كان قد استقر على منهج محدد واستطاع أن يصنع أسلوبه الخاص, استخلص لنفسه طريقا بين مدارس الرسم العديدة يميل**

إلى التأثيرية, لكنه ليس تأثيرا خالصا وظل طوال سنوات عمره يطور تقنياته ويكتسب مزيدا من الخبرة والنضج عبر عشرات بل مئات اللوحات" [٢٤].

يقول أيضا:" **نحن فنانون نتعارك مع الطبيعة والعالم طوال الوقت, ونقدم هذا العالم من وجهة نظرنا وحسب رؤيتنا الإنسانية للطبيعة, أما مايحدث بعد ذلك فلا دخل لنا به, العمل الفني يصنع وجوده الخاص بين الناس, يستقبلونه ويتعاملون معه كما يريدون هم لا كما يريد صاحبه, كل فنان يتمنى أن يقدم العمل الأفضل والأشهر لكنه في حقيقة الأمر, يبدع ما يستطيعه وفق قدراته وموهبته وليس مايريده أو يتمناه"**[٢٥], وفي هذه الأسطر قدّم لنا الكاتب هذه الشخصية وأفصح عن نوع الثقافة التي يعتنقها فكره, رغم استقراره في فيلته الخاصة بإحدى القرى المصرية.

ب) الدكتور عادل أبو خطوة: حصل في إحدى الفرص النادرة على منحة لدراسة الدكتوراة في أمريكا واستطاع بعد فترة وجيزة أن ينتهي من رسالته ويحصل على درجته العلمية بتفوق, فجعل الجامعة هناك تعرض عليه العمل بها ووافق بلا تردد, لكنه لأسباب كثيرة لم يرض أن يترك وظيفته في مركز البحوث,... **لكنه برغم ماحقّقه من نجاح لم يستطع أن ينسجم بشكل كاف مع حياته في أمريكا, فظل مؤرقا بالحنين إلى بلده, ومشاعره موزعة بين موطن صباه وشبابه وبين البلد الذي يعيش فيه, بثقافته المختلفة وطباع مواطنيه المغايرة تماما لما نشأ عليه"**[٢٦], لأجل هذا قرر العودة لبلده بأسرته بعد أكثر من سبعة عشر عاما قضاها هناك لم يزر بلده فيها سوى مرة واحدة, فرجع وتسلم عمله في مركز البحوث وسط ترحيب زملائه وتلامذته باحثي الماجستير والدكتوراة في معمل القسم المكدّس بالمكاتب, لكنه وجد أيدي الفساد واللامسؤولية تصل إلى ذروتها, الحد الذي يشكل خطرا على الشعب المسكين, وما يقدم له من خضروات وفواكه مسمومة من كثرة تركيزات المبيدات السامة في المحاصيل, ولكنه قرر التصدي قدر جهده ومحاربة هذا الفساد.

ج) شخصية د. ممدوح: في رواية (سجن الطاووس) لمحمد العون

كان زميلا لدكتور عادل أبو خطوة، وهو رئيس اللجنة التي أرسلتها الحكومة لقصر إحدى العائلات الملكية لعمل تقرير عن المساحات المزروعة بالقصر ومدى الاهتمام بزراعتها وريّها وجودة المحاصيل فيها، وقد وعي منذ اللحظة الأولى التي دخل بها القصر أن العائلة المالكة لازالت تتمتع بكامل سلطتها في القصر رغم إعلان نظام الجمهورية، **"ومن في رأيك يا دكتور الذي يستطيع أن يحضر إلى القصر بموكب وحرس ويجلس ويلعب فيه على راحته هكذا؟ _ طبعا أحد أعضاء العائلة الملكية, بالرغم من تحول بلدنا للنظام الجمهوري منذ أجيال, مازالت العائلات الملكية موجودة عندنا"**[٢٧], وقد تجلّت روح المثقف الإيجابية في هذه الشخصية برجوع صديقه الدكتور(عادل أبو خطوة), والذي قام بعمل أبحاث زراعية أثبتت تسمم نسب كبيرة من المحاصيل كالطماطم وتكاد الحكومة تغض الطرف عن صحة المواطنين, فقرر د. ممدوح مساعدته لحماية الشعب من هذه الأمراض والأوبئة التي ستصيبهم لو نجوا من الموت بالتسمم يقول: **" أنا معك يا دكتور, سأساندك في هذا الأمر, سألقي معك بحجر في المياه الراكدة لكن توقع رد فعل عنيف من جانبهم!"**[٢٨].

د) الشاب عصام: وهو الشاب الجامعي الذي تعلم رياضة الكاراتيه, وحينما تعرض **(سلومة)** المتسكع البلطجي لجارته في السكن **(سلوى)** , فصاح فيه آملا أن يتراجع, ولكنه استمر, ولم يجد هذا الشاب إلا أن يلقنه عدة ركلات قوية في جسده, شلّت حركة سلومة وعجز عن التنفس من قوة الضربات التي تلقاها في بطنه وصدره والتي أفقدته الوعي, رغم كونه متسلحا بمُديهم المخبأة إلا أن الناس قد انهالوا عليه ضربا بعد علمهم بأسباب المشاجرة, وقد أوضح الكاتب هنا حول سمات تلك الشخصية أن هذا المثقف القروي قد تسلّح بالقوة أيضا وأيقن أن العلم وحده لن يفيد في مواجهة مثل أولئك المتسكعين البلطجية, وإنما يجب أن يتسلح لمواجهتهم بتدريبات رياضية كالكاراتيه أو المصارعة اليابانى أو إحدى سبل الدفاع عن النفس والحفاظ على الهيبة, فتلك ثقافة

من نوع آخر.

سادسا: في رواية القرية لإبراهيم القاضي:

أ)**علي ابن الحاج محمود والحاجة زينب:** يحترم أهل القرية (عليّا) بالرغم من صغر سنّه، ويقدرونه كثيرًا، ويأخذون رأيه في مشاكلهم، قرر عليّ دخول القسم الأدبي_ بالرغم من تفوقه في المواد العلمية- لحبه الشديد لمادة التاريخ ومدرسها الأستاذ **عبد الحميد،** فهو بالنسبة له مثل أعلى يذهب إليه ويحكي له ما حدث له في القاهرة، وانضمامه لحزب المعارضة.. يفتح معه نقاشا سياسيا.. يحكى له ويتعلم منه، لكن حين أنهى عليّ حياته الدراسية كانت طموحاته قد أطاح بها الواقع بعد تخرجه فلم يملك إلا أن يعمل بالأرض التي تركها له والده الذي توفى كمدًا وحسرة على ما آل إليه حال ابنه بعد كل هذه الرحلة الشاقة من التعليم، وقد أوضحت الأحداث مصير هذا المثقف وقراره الإيجابي حتى بعد انهيار طموحاته:

" أنا بحب مصر حتى لو كان من طرف واحد زي ما حضرتك قلت، وأنا مش مستني المقابل وأتمنى أموت علشانها وأكون شهيد يا أستاذ...

مات محمد، مات الحاج محمود، لم يعين في السلك الدبلوماسي، لن يتزوج بمن أحب.. فماذا بعد؟، ترك عليّ العمل بمصنع عبد السميع، ولا يريد حتى رؤيته، وقرر أن يعمل بزراعة قطعة الأرض التي تركها له والده، تلاشت كل أحلامه منذ كان طفلا، ولم يعد له ما يحلم به، وقد استسلم للقدر. لكنه يشعر براحة كبيرة في التعامل مع الفلاحين من أهل القرية. فأهل القرية ليسوا كلهم عابد، ولا عبد السميع، ولا حتى الشيخ رمضان."[٢٩], وبهذا جسّد الكاتب في سطور مشكلة يعانيها هذا الشاب القروي المثقف, وحالته هو وعقله الذي بات يراقب نفسه في نفس اللحظة التي يلاحظ فيها الحياة والواقع, فكان عليه أن يختبر إرادته وعزيمته, قبل أن يختبر الواقع نفسه, ورغم ذلك لم يتخلف عن خدمة قريته ووطنه بأكمله فقد ذهب للمقهى لتوعية أهل قريته بضرورة قيام ثورة تحفظ للفرد كرامته وتنادي بالمساواة والحرية والعدالة الاجتماعية, حتى كتبت نهايته على يد أحد أصدقائه بالقرية بكلية الشرطة وهو (شريف) ابن الحاج عادل الثري, "**أحس**

عليّ أنه ليس الوحيد، الذي يحب مصر تلك البلد، التي سببت له الكثير من المآسي، بل هناك الملايين ممن يحيطون به في الميدان، هم أيضًا يحبونها مثله.

د) **المثقفون الآخرون بالقرية:** أشار الكاتب لوجود ثلة من المثقفين المحبين لقريتهم وأناسهم لا يزال يتبقى بداخلهم بقية أمل وعزيمة على التغيير للأفضل " **يوجد بالقرية أناس طيبون، وشباب مثقف، وخريجي جامعات أمثال عبد الله وعبد الرحمن وسامر، الذين يلتقون بعليّ يوميا على مقهى القرية، يتناقشون ويتباحثون في شئون القرية وأهلها، وشئون السياسة، ويحاولون توعية أهل القرية**"[٣٠]

وهنا يتبدى لنا الموقف الحامل لدلالته النفسية والفكرية الواعية أو غير الواعية على مدى احتجاج المثقف_ سواء في خارج الرواية ككاتب روائي أو في داخل الرواية كشخصية مثقفة_ على سيطرة التقاليد الثقافية الإيجابية, والسعي نحو التطوير للأفضل, فقد ارتفع صوت المثقف المصري أحمد عبد الله في (رواية القيراط الخامس والعشرون), ويوسف أفندي ومحمد أفندي في (رواية عزبة الباشا) و علي في (رواية القرية) و جمال وسعد في رواية (مراكب الليل), و الدكتور عادل أبو خطوة وصديقه د. ممدوح في رواية (سجن الطاووس), بشيء من الاحتجاج الضمني على رواسب النزعة الفاسدة في ضمير شخصية المثقف في هذه الأعمال.

ما يؤكد أن "الإنسان المثقف في الرواية الواقعية بالإضافة إلى طموحه وشوقه للانتقال من عالم الحلم أو الخيال إلى عالم الواقع يتراءى لنا في هذا الاتجاه الفني, وكأنه العالم المشرّح لأمراض مجتمعه والمشرّع لطرق علاج هذه الأمراض الاجتماعية."[٣١], ومن هنا يمكن القول بأن معظم الشخصيات المثقفة الإيجابية التي تنتمي إلى الريف المصري قد انتقاها الكتّاب بسمات خاصة تميزها, كأن تكون منحدرة من أصول فقيرة, تتصف برفض الظلم, وتتسم بالشجاعة والكرم, وتجد نفسها أكثر في عالم التمني أكثر منه في عالم الواقع, مما يدفع الكاتب للتعاطف معها لكونها تنسجم مع رؤيته وأفكاره كأحد الشخصيات المثقفة التي تمثلها شخصيات روايته.

١) ب) **المثقف السلبي**

لا شك أن هؤلاء الأشخاص السلبيين ضررٌ وجرثومة تنهش بجسد أي مجتمع، وتحاول كثيرًا

تشويه صورة الطبقة المثقفة الإيجابية أمام طبقات المجتمع الأخرى، فنجد هذه الشخصية تستخدم أسلوب انتقاد الآخرين بدافع التسقيط لا بدافع النقد البناء.

٢) أولا: في رواية (**القيراط الخامس والعشرون**)

أ) شخصية(**شعبان دشيش**) المحامي, والذي لا يثق أهل بلدته في وطنيته أبدًا, إلا أنه حاول إقناعهم بأنه سيتولى قضيتهم لوجه الله ولن يأخذ منهم مقابلا ماديّا, ورغم ذلك لم يرحبوا به بينهم ونهروه ليقينهم بنواياه الخبيثة وخيانته لهم, وتلك الشخصية كانت تغار من نجاحات (أحمد عبد الله) ومحبة أهل البلد واحترامهم له, فدبّر له المكائد من أجل تشويه صورته وتفريق المؤيدين من حوله, وبالفعل استطاع تدبير مكيدة له تنال من سمعته بالبلدة, حتى انكشفت الحقائق واعترف مدبروا المكيدة بترتيبهم وأعلنوا عن مشاركته لهم في التخطيط بالشر "**لأحمد**", إضافة إلى كونه من مدعي الثقافة والفهم بالقرية, مما كان أدعى لتصنيف تلك الشخصية بالسلبية الفاسدة.

ب) شخصية (**العقيد سمير فيّاض**)

وهو أحد ضباط أمن الدولة الذين كلّفوا بإخماد ثورية (أحمد عبد الله)، وإسكاته عن المطالبة بأحقية أهل بلدته في الأفدنة التي يمتلكونها، ولو تطلب الأمر تتبع الطرق غير المشروعة، وبالفعل استخدم (الصول رمضان) و(شعبان المحامي) لمساعدته في المكيدة لأحمد. وهو من الشخصيات المثقفة التي كان وعيها وبالا على غيرها، فيسخّر ثقافته وفكره في إيذاء الآخرين.

ثانيا: في رواية القرية للقاضي

أ) **عبد الناصر**: ابن الأستاذ عبد الحميد معلم التاريخ, طالب متفوق تخرج في طب المنصورة, ولكنه بعد تخرجه لم يكن مرتّبه يكفيه فاضطر أن يستعين بوالده الأستاذ عبد الحميد ليكفله حتى بعد عمله, وفي النهاية قرر ترك مهنة الطب غير المجدية له في نظره, والعمل لدى "**عبد السميع**" الميكانيكي في إحدى مصانعه لكون المادة هي الشيء المحرك لكل شيء, فهذه الشخصية المثقفة لا يبدو نفعها على أي ممن حولها, فهي شخصية سلبية, رغم توافر كل صفات العطاء والتوعية بها, إلا إنه آثر أن ينفق وقته لجمع المادة على ألا يدعم أهل قريته ويساعدهم بشيء

ج) شخصية المثقف المتحولة أو القلقة في رواية (القيراط **الخامس والعشرون)**

أ)شخصية (**فتحي كسّاب**): يأتي دورها التوعوي في المرتبة الثانية بعد شخصية تلميذه (أحمد عبد الله) فهو أستاذه وصديقه, انتقل إلى مصر ليعمل كاتبا كبيرا هناك, وكان واحدًا من كبار الدّارسين لتاريخ مصر, تبنى قضية (أحمد عبد الله) من قبل حين تعرض للاعتقال والتعذيب من قبل أمن الدولة, فدافع عنه بمقالة (أنقذوا خليفة جمال حمدان), ولما أثيرت قضية أحفاد خورشيد باشا المزوّرة بخصوص الأرض, لجأ أحمد إليه ليساعده ويدعمه كعادته, ولكن أمن الدولة والحكومة كالعادة تدخلت وأمرته بالبعد عن هذه القضية تماما, فلم يكن أمامه إلا أن استجاب لقوتهم وخذل صديقه, وهي الشخصية الأولى في الرواية التي يتنافى وصف دورها المؤثر المتنامي في بدايات الأحداث مع نهاياتها, وهنا كان المأخذ في بناء دور تلك الشخصية, الذي اعتوره النقص أو الإبهام, وفي زعمي أن الكاتب قد يكون عمد إلى ذلك ليبصّر المتلقي بأن مثل هذه النماذج في واقعنا المعاش, مجرد وصولها إلى منصب ما, يصبح شغلها الشاغل الحفاظ على ذاك الكرسي فقط, ولا تعبأ بكمّ الخسارات في المقابل, حتى لو كانت أسرته بأكملها أو أهل بلدته, وبهذا يتقلص دورها في حياة من حولها, فتصبح وكأن ليس لها وجود يذكر من البداية. وهذا النموذج من الشخصيات كان يمكن استثماره وتطوير دوره بالرواية،" **فشرط الرجل المثقف في كل عصر أنه ابن عصره، وأن طابع عصره يلازمه في تفكيره وعمله كما يلازمه في نظرته إلى العالم من حوله، فلا يعيش في الزمن الحاضر بعقل الزمن الماضي، ولا يترجم الواقع والحقيقة بلغة الوهم والخرافة)**[٣٢]

ففي قمة عطاء هذه الشخصية وتألقها (فتحي كساب) يراجع علاقته مع من حوله (أحمد عبد الله على وجه الخصوص) فيتوقف الكاتب عند هذا الحد دونما أن يطورها لصالح الأحداث، ويصبح من الأحرى وضعها بقائمة النماذج القلقة التي تحول دورها من الإيجابي (أ) إلى السلبي الساكن (ب).

ب) **شخصية(حسن بانجو)**: وهو قبلُ طالب الطب(حسن الجنايني) بن الشهيد(عبد الحليم الجنايني), والذي قتلت جنود الحكومة والده وعمته في إحدى الليالي إثر إقامة حفل(بجرن الشرنوبي), لاستضافة الوزير والمحافظ في **صفط تراب** من قبل (كاظم باشا), ونشب حريق هائل أكل الخيمة بما فيها إلا الهاربين بحياتهم من الموت, وبعد ذلك تم تلفيق الحريق (لأحمد عبد الله)

و(حسن), رغم كونهما لم يكونا متواجدين بالبلدة يومها, فخرج (حسن) من المعتقل مزاولا للمخدرات والبانجو, ونتيجة ذلك تبرأت منه والدته لكسبه الحرام, وقد شارك في لصق اللافتات المفبركة لصور **أحمد وحسناء** على جدران البلدة, إلا أنه لم يدقق فيها, ولكنه يعترف بخطئه بعد ذلك لأهل البلد, ويطلب العفو منهم, ورغم كلّ السابق إلا أنّه من الشخصيات المثقفة التي كان لها الأثر السيء على نفسها وعلى غيرها في الأحداث, رغم التزامه بشخصية المثقف الجامعي, لكن دوره التوعوي الإيجابي قد غلب رغم ما أبداه من مفاسد وأضرار تجاه بقية الشخصيات, فهكذا تتطور الشخصيات في الحكاية وتغير أفكارها ومسلكها كلما تقدمنا في الحدث، ولكنها تظل واضحة موضوعياً مفسرة في ضوء طبيعتها ودوافعها وصراعها، فيسهل الحكم عليها، وهذا الاتجاه صار عند كتاب الواقعية وعلى رأسهم بلزاك"[٣٣] كذلك الأمر في (**شخصية فراولة**), والتي سيأتي الدور للحديث عنها في الجزء الذي يخص المرأة في نفس المبحث. ويمكن وصف هذا النموذج بهذا الشكل:

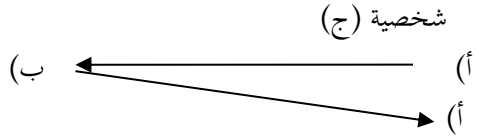

شخصية المثقف المتحولة في رواية القرية لإبراهيم القاضي

ب) **الأستاذ عبد الحميد:** معلم التاريخ بالثانوي، رجل يساري ومناضل ثوري قديم، ويعتز بذلك كثيرًا، رغم علمه أن لا أحد يهتم بمعرفة ذلك، مبدأ إعطاء الدروس الخصوصية كان يتنافى مع مبادئه، لكن سرعان ما اندثرت تلك المباديء مع تغير الأحوال ومرور الزمن، بعد أن قضى أكثر من ثلاثين عامًا لم يعطِ فيها درسًا واحدًا، بل كان يهاجم من يعطي الدروس الخصوصية: " **الأستاذ عبد الحميد بطل حرب أكتوبر، ومدرس التاريخ تغير كثيرًا، وتغيرت مبادئه وأفكاره، التي ظل مدافعاً عنها ومؤمنًا بها لمدة كبيرة. كان يهاجم الدروس الخصوصية، ويقول إن العلم لا يباع، وأصبح الآن هو من يبيع العلم حتى يعيش، ويستطيع أن يوفر لأبنائه سبل الحياة الكريمة, شعر الأستاذ عبد الحميد أنه أضاع حياته هدرًا، فلا مكان للمبادئ والقيم الحاكمة، فالمبدأ الأهم الآن –والوحيد– هو المال، والمال فقط.**"[٣٤], بمرور الزمن كان لابد من التغيير وقد

تطلب التغيير تغير المباديء والقيم طالما أن المادة طغت وأصبحت هي المتحكمة في كل شيء, يقول الكاتب:" **يعرف الأستاذ عبد الحميد الحياة أكثر من عليّ، ويعرف أن أحلام عليّ ما هي إلا" أضغاث أحلام**"[٣٥]، وإن "اللي معندوش ما يلزموش" و"اللي له ظهر ما يضربش على بطنه"[٣٦].

* ولا يفوتنا هنا أن نشير أن دلالة الاسم تتناسب وما أراده الكاتب من وراء الدور الذي تلعبه الشخصية, إذ أن دال الاسم هنا قد يحيل إلى عمل الشخصية أو احتراف تجارة المخدرات مثلا كما في لقب(حسن بانجو) في **القيراط الخامس والعشرون**, شأنه في ذلك شأن من يطلق عليهم ألقابًا من واقع بيئتهم أو حرفتهم, كما بشخصية (**شعبان دشيش**) المحامي بنفس الرواية, وقد ذكر الكاتب أن هذا اللقب الساخر قد أطلقوه عليه استهزاء به لكونه مغرم دائم بالكلمات الكبيرة يستخدمها دائما في تضاعيف كلامه, وإن لم يكن مدركا لمعناها الصحيح, ويزج بها لمناسبة وغير مناسبة للتعاظل فحسب)[٣٧], وهنا وجب التنويه إلى أن " **الرواية تبدأ بطرح الشخصيات بيضاء من حيث الدلالة ولكنها شيئا فشيئا تروح تملؤها بالنعوت والمعلومات والأسماء والتصنيفات, مما يجعلها ذات مدلول محدد تابع لاختيار الروائي وأهدافه)**[٣٨], ويبدو أن الروائي أراد أن يبرز_ من خلال توظيف الشخصيات_ وجهات نظره تجاه أمور اجتماعية ومواقف سياسية فعبّر عنها على لسان شخصياته.

إن شخصية المثقف بالرواية يعتبرها المؤلف شخصية موقف إيجابي وحضاري عام وعلم ومعرفة، وتأييدًا لرأي عبد السلام الشاذلي (فالمثقفون هم الأشخاص الذين يمتلكون المعرفة Knowledgeوموهبة الحكم Judgement على المواقف المختلفة...والصفة الغالبة على كل المثقفين هي استيعابهم لأدوات المعرفة واستخدامها في العمل الذهني Mentallabot)[٣٩], لهذا حينما تحوي الرواية مجموعة من الشخصيات المثقفة فإنها تكون محملة بنتاج فكري ضخم

وبعد فقد تناولت تلك العينات الروائية الواقعية صورا للأشخاص المثقفين بالقرية, من خلال الأساليب الدرامية للرواية التي تهدف غالبا إلى تغيير الواقع الذي يقدمه مضمون الرواية لخدمة المجتمع وإصلاحه, بتدعيم القيم الإيجابية والطاقات, وذلك بتقديم تلك النماذج الإنسانية التي تتعرض للأزمات في مجتمعها ويحاول الأديب من خلالها تصوير العيوب والنقائص بالمجتمع دون محاولة اقتراح حلول للمتلقي, وهذا ما اتسمت به الروايات الواقعية النقدية, مثل رواية(عزبة الباشا) و(القرية) و(مراكب الليل), وكما هو الحال أيضا في رواية الكاتب يوسف أبو ريّة(ليلة عرس) والتي سيأتي فيما بعد الحديث عنها في المباحث القادمة.

ومن هنا يمكننا أن نخلص إلى ما يلي:

أولا: جاءت شخصية المثقف في الرواية المصرية، وبرزت كل هاته الشخصيات ضمن الطبقة المثقفة لتناضل من أجل الحرية والحياة وتقاوم الجهل والظلم. وتؤول لغد أفضل تسعى لتحقيقه, وتتطلع للأمل لحب حياة جديدة وتتمثل هذه النخبة في(أحمد عبد الله, فهناك أنماط عدة للمثقف فهناك البطل أحمد عبد الله باحث الدكتوراة, وفتحي كساب الصحفي, وشعبان دشيش المحامي, والحاج بدراوي من فئة الفلاحين, وهناك المثقف المستبد السلطوي أمثال الصول سعيد و العقيد فياض, وضابط المخابرات سعيد صيام, وحسن بانجو طالب الطب) فمنهم من يأمل بمستقبل واعد ويشارك في صنعه, مما جعل تلك الشخصيات تؤدي دورها للبوح في ظل العتمة ومواجهة الظلم والفساد, فكانوا خير شاهد على سنوات العذاب والقهر من السلطات حتى تحققت الديمقراطية ونال الفرد حقه من الحرية التي يستحقها.

ثالثا: تنوعت مرجعيات وظروف الشخصيات المثقفة في عينة الروايات مما فرض طريقة المزج التي اتبعها الكتاب في تشكيل شخصياتهم، فقدّم لنا كل منهم شخصية المثقف في القرية موصوفة بدقة متناهية، مما جعلها شخصيات مكشوفة المعالم والمرجعيات، لكنها في المقابل غير قابلة للتكهن بسلوكياتها وردود أفعالها لدى المتلقي.

ولا شك من وجود علاقة وطيدة بين الرواية والواقع وقضايا المجتمع، والكاتب الناجح هو الذي يختار الشخصية المناسبة لعمله والتي تكاد تقترب من الواقع أكثر، ليحقق مصداقية ووعي يفز بهما كل متلق وقارئ واعٍ.

أخيرا كشفت تلك العينات الروائية على مستوى التطبيق عن:

أ) تولي طبقة المثقفين الدفاع عن القناعات الفكرية ضد الاستبداد والسلطة والقهر الممارس ضد الضعفاء، وكان دورهم الأسمى إقناع المحيطين برؤيتهم للعالم وما يؤمنون به وبالتالي استطاع الروائيون رصدها للقراء من خلالهم، وقد تجلى ذلك من خلال المنطوق بالنص والمسكوت عنه أيضا عن فساد المستعمرين والإقطاعيين وسلبياتهم واضطهادهم لحقوق البسطاء.

ب)كشفت النصوص عن العنف الذي تمارسه الحكومات وذوي السلطة ضد الفلاحين، كما أبانت عن الشقاء والألم الذي يلقاه المثقف المغترب سواء بطرق شرعية أو غير شرعية.

ث)اتضح الاغتراب النفسي الذي يكابده المثقفون المنقولون تعسفا من المدينة إلى القرية ومدى رفضهم للعالم وعدم تأقلمهم مع هذا المجتمع.

المصادر والمراجع:

١) لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر لبنان، ط١, ٢٠٠٢م، ص١٤٤

٢) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء _ الزمن _ الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١٩٩٠,١م، ص٢٠٩_٣٢٥

٣) عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت, ١٩٩٨م، ص٨٩

٤) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, ١٩٩٧م، ص٥٢٩_٥٣٥

٥) شوقي زادة: الشخصيات في السيرة الشعبية _دراسة لبنياتها وخصائصها_ الجزائر, ٢٠٠٨م، ص٦٦

٦) حميد لحميدان: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١, ١٩٩٩م، ص٢١٥_٢١٦

٧) محمد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، ط١, ٢٠١٠م، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ص٣٩

يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط٢, ١٩٩٩م، ص٨٢ _ص١٠٦

هوامش البحث:

[١]) الروايات هي: القيراط الخامس والعشرون لمحمد حمزة العزوني، وطبيب أرياف لمحمد المنسي قنديل، وعزبة الباشا والقرية لإبراهيم القاضي، وسجن الطاووس ومراكب الليل لمحمد العون.

[٢]) عن الشخصية الروائية انظر في ذلك:

[٣]) محمد بو عزة: تحليل النص السردي، ص٤٠

[٤]) عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص٧٥

[٥]) ولو انتقلنا إلى فضاء اللغة لنبحث عن معنى المثقف ودوره, فنجد أن مصدر كلمة ثقافة في اللغة العربية قد جاء في البدء من تعبير (ثقف العود أو الرمح) أي هذّبه وأصلح من اعوجاجه, ثم انتقلت على يد (أبي عثمان الجاحظ) من ميدان الرماح والقتال إلى معنى تسوية العقل ليصبح بفطنته وذكائه قادرا على حل مشكلات الحياة وفهمها, وهذا يعني أن المثقف الحقيقي ليس هو الشخص الذي قرأ الكتب وجمع المعلومات وحصل على أعلى الدرجات العلمية، وعاش منفصلًا عن مشكلات الواقع والمجتمع، ولكنه في معناه الدقيق، الإنسان الذي يعيش قضايا مجتمعه وعصره بفهم عميق وقدرة على النقد والتحليل، ويتحلى بشجاعة قول الحقيقة، ويسعى لتحسين شروط الحاضر ورسم ملامح مستقبل أفضل, راجع في ذلك:

عبد السلام محمد الشاذلي: المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة للطبع، القاهرة، ط١, ١٩٨٥م

[٦]) عبد السلام محمد الشاذلي: المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة للطبع، القاهرة، ط١, ١٩٨٥م، ص٩

[٧]) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص ٥٣٣_ص٥٣٥

[٨]) محمد حمزة العوني: القيراط الخامس والعشرون_ الطبعة الأولى، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا, ٢٠١٩م

[٩]) عبد السلام محمد الشاذلي: المثقف في الرواية العربية الحديثة، مرجع سابق ص١٩

[١٠]) محمد المنسي قنديل: دار الشروق مدينة نصر، الطبعة الأولى , ٢٠٢٠م

[١١]) محمد المنسي قنديل: طبيب أرياف، مصدر سابق، ص٢٤

[١٢]) المنسي قنديل: مصدر سابق، ص٩٣

[١٣]) المنسي قنديل: مصدر سابق، ص١٠٣

[١٤]) إبراهيم القاضي: عزبة الباشا، دار الرواق للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ٢٠١٤م

[١٥]) انظر رواية عزبة الباشا مصدر سابق

[١٦]) إبراهيم القاضي: عزبة الباشا، ص١٣٦

[١٧]) إبراهيم القاضي: عزبة الباشا، ص ١٠١, انظر أيضا ص ٩٤ من نفس المصدر، يوضح دور المثقفين الشباب في التمرد على الظلم في القرية بدار يوسف أفندي. ص١٠١

[١٨]) إبراهيم القاضي: عزبة الباشا، مرجع سابق، ص١١١

[١٩]) المرجع السابق: ص٦٣

[٢٠] محمد العون: مراكب الليل، مصدر سابق، ص ٦٥

[٢١]) محمد العون: مراكب الليل، مصدر سابق ص٦٥

[٢٢]) محمد العون: مراكب الليل، ص ٧٤

[٢٣]) محمد العون: مراكب الليل، مصدر سابق ص١٦

[٢٤]) محمد العون: سجن الطاووس، ص٤٨

[٢٥]) المرجع السابق نفسه

[٢٦]) المرجع السابق ص٤٥

[٢٧]) محمد العون: سجن الطاووس، مصدر سابق، ص١٠٦

[٢٨]) محمد العون: سجن الطاووس، مصدر سابق، ص٨٢

[٢٩]) إبراهيم القاضي القرية، ص ٨٨

[٣٠]) إبراهيم القاضي: القرية، ص٨٨

[٣١]) عبد السلام محمد الشاذلي: المثقف في الرواية العربية الحديثة، مرجع سابق، ص١٧

[٣٢]) عباس العقاد: محمد عبده: الهيئة المصرية العامة للتأليف، الطبعة الثالثة، القاهرة١٩٦٩م، ص١٤

[٣٣]) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث. مرجع سابق، ص٥٣٠

[٣٤]) إبراهيم القاضي. القرية، ص٧١

[٣٥]) إبراهيم القاضي: القرية ص٢٣

[٣٦]) المصدر السابق ص٧١

[٣٧]) راجع في ذلك فيليب هامون (سيسيولوجيا الشخصيات الروائية) الجزء٣

[٣٨]) سمر روحي الفيصل: الرواية العربية، البناء والرؤيا مقاربات نقدية، دمشق، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب, ٢٠٠٣, ص١٣٥

[٣٩]) عبد السلام الشاذلي: شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الشاذلي: شخصية, ١٩٩٤, ص١٣٨